جمهورية العراق
رئاسة ديوان الوقف السني

Republic of Iraq
Al-Sunni Endowment

مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة

مجلة علميّة فصلية محكّمة

اقرأ في هذا العدد:

١. العارف أبو علي الدَّقاق النِّيسابوريُّ
أ.د. أسماء عبد الله غني

٢. آليات من مواجهة القلق والخوف نصوص مختارة من الفلسفة اليونانية والديانات السماوية الثلاثة ..
م.د. أيمن عبد الكريم علي

٣. مراعاة فقه الواقع وأثره في العمل الدعوي مراعاة المدعوين أنموذجاً
م.د. رعد صبار صالح

٤. العام دلالته وتخصيصه عند الإمام الأوزاعي
م.د. رياض محمد حسن العبيدي

٥. التمكين المعرفي في القصص القرآني نموذج تربوي لتعليم التفكير النقدي في المدارس
م.د. عبد القادر حسين صلبي طعان

٦. الشريعة الإسلامية وأسس المواطنة: دراسة دستورية مقارنة بين العراق والمغرب
م.د. عمر الفاروق يونس محمد قاسم

٧. رسالة في حق الحديث الضعيف لا يثبت به الأحكام الشرعية لأبي سعيد محمد بن مصطفى ..
م.د. محمد الياس هاشم الطائي

العدد الرابع والخمسون
جمادى الآخرة ١٤٤٧ هـ - كانون الأول ٢٠٢٥ م

الرقم الدولي: ISSN:1817_6674

الجزء ١

جمادى الآخرة ١٤٤٧ هـ
كانون الأول ٢٠٢٥ م

Al- Imam Al-Adham University College

A.D 2025 A.H 1447

ISSN: 1817-6674
coll.magazine@imamaladham.edu.iq

مجلة كلية

الإمام الأعظم الجامعة

العدد الرابع والخمسون

«الجزء الأول»

جمادى الآخرة ١٤٤٧ هـ
كانون الأول ٢٠٢٥ م

هيئة تحرير المجلة لسنة ٢٠٢٥م

أ. د. صلاح الدين فليح حسن - عميد كلية الإمام الأعظم الجامعة ..... المشرف العام
أ.د. فهيمي أحمد عبد الرحمن ..... رئيس التحرير
أ.م.د. علي داود خلف..... مدير التحرير
أ.د. إسماعيل عبد عباس.....عضو
أ.د. محمود عبد العزيز محمد .....عضو
أ.د. حقي إسماعيل محمود..... عضو لغوي
أ.د. حسام مشكور عواد .....عضو
أ.د. محمد عبد القادر عجاج ..... عضو مترجم إنكليزي
أ.د. وسام محمد خليفة.....عضو
أ.د. أحمد ياسين معتوق .....عضو
أ.د. خالد مصطفى عبيد.....عضو
أ.د. نور سعد محسن .....عضو
أ.د. وصفي عاشور أبو زيد / تركيا .....عضو
أ.د. محسن المطيري / الكويت .....عضو
أ. د. لبنى خميس مهدي / وزارة التعليم العالي.....عضو
أ.م.د. عبد الوهاب أحمد حسن الطه.....عضو
أ.م.د. محمد صالح حسن / دائرة البحوث .....عضو

شروط النشر في مجلة
كلية الإمام الأعظم الجامعة / العراق

الرقم الدولي ISSN:1817-6674

مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، مجلة إنسانية من المجلات العلمية الأكاديمية الرصينة، وقد صدرت موافقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لاعتمادها بالرقم: بت/٨٦٤ في ٢٠٠٥/٥/٢٤.

شروط النشر العامَّة:

تسعى هيئة التحرير في مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة إلى الارتقاء بمعامل التأثير (impact Factor)، تمهيدًا لدخول المستوعبات العلمية العالمية، وعليه تنشر مجلة الكلية البحوث التي تتسم بالرصانة العلمية والقيمة المعرفية، وبسلامة اللغة، ودقة التوثيق وفق الشروط الآتية:

١. ألَّا يكونَ البحث منشورًا سابقًا في مجلة أخرى، وألَّا يكونَ جزءًا من بحث سابقٍ منشورٍ، أو من رسالة جامعية، وعلى الباحث أن يوقّع نموذجَ تعهدٍ بألَّا يكونَ البحث منشورًا، أو سبق تقدّيمه للنشر في مجلة أخرى، وألَّا يقدّمه للنشر في مجلة أخرى بعد نشره في مجلة كليتنا، وأن يوافق على نقل حقوق نشر البحث إلى المجلة في حال قبول نشره.

٢. ألَّا يذكر اسم الباحث أو أيّ إشارة تدلُّ عليه في متن البحث؛ لضمان سرية وحيادية عملية التحكم.

٣. ألَّا يزيد عدد الكلمات في البحث على (٨٠٠٠) كلمة، مع المصادر والملاحق، أو ألَّا يزيد على خمس وعشرين صحيفة.

٤. أن تحتوي الصحيفة الأولى من البحث ما يأتي:

أ. عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.

ب. اسم الباحث ودرجته العلمية وتخصصه باللغة العربية والإنجليزية.

ج. مكان عمل الباحث باللغة العربية والإنجليزية.

د. رقم هاتف الباحث وبريده الإلكتروني الجامعي.

٥. يقدّم الباحث ملخصًا (باللغة العربية والإنجليزية) لا يقل على (١٥٠) كلمة.

٦. يوضع بعد الملخص (Abstract) مباشرة الكلمات المفتاحية لموضوع البحث (Keyword)، باللغة العربية والإنجليزية.

٧. على الباحث اتّباع قواعد الاقتباس وتوثيق المصادر، وأخلاقيات البحث العلمي بما يتوافق مع سياسة المجلة.

٨. تكتب الهوامش داخل المتن وبين قوسين (APA) النظام الامريكي وكما ياتي :

- مع تطور الحياة (الزمخشري، ١٩٩٩: ٣٥).
- قائمة المصادر باللغة العربية (APA).
- قائمة المصادر باللغة الإنكليزية (APA).

٩. الاستشهاد بعددين من أعداد المجلة المنشورة سابقًا والمرفوعة في الموقع الإلكتروني الخاص بكليتنا في الرابط الإلكتروني: https://www.iasj.net/iasj/journal/224/issues.

١٠. تطبق المجلة نظام فحص الاستلال الإلكتروني باستخدام برنامج (Turnitin) ويرفض نشر الأبحاث التي تتجاوز فيها نسبة الاستلال ٢٠٪.

١١. يخضع البحث لفحص أولي تقوم به هيئة التحرير في المجلة، وذلك لتقرير أهلية البحث للتحكيم، ويحق لها أن تعتذر عن قبول البحث دون تقديم الأسباب.

١٢. تتبع المجلة التقويم المزدوج السري لبيان صلاحية البحث للنشر، إذ يعرض البحث المقدّم للنشر على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص، ويتم اختيارهما بسرية مطلقة، بالإضافة إلى عرض البحث على خبير لغوي لتقويم سلامته اللغوية.

١٣. الأبحاث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها لتكون صالحة للنشر، تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة عليها، وخلاف ذلك لا يتم استلام البحث، وستتم مراجعة البحث من قبل هيئة التحرير للتأكد من التزام الباحث بالأخذ بجميع الملاحظات المثبتة من قبل المقيمين.

١٤. تُعبِّر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، لا عن رأي المجلة.

١٥. تنشر المجلة أعدادًا خاصة بالمؤتمرات العلمية المتوافقة مع تخصص المجلة.

١٦. أجور نشر البحث: يدفع الباحث (٥٠) ألف دينار لتغطية أجور التحكيم، ويكمل دفع بقية الأجور عند قبول البحث للنشر.

١٧. تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف على ضوء المنهج العلمي الدقيق الكامل.

١٨. يزود الباحث بنسختين مستلة، بعد النشر.

٢٠. يتم إرسال الأبحاث على منصة المجلة .https://journal.imamaladham.edu.iq/index.php/al-Imam-Al-Adham/user/register. أو من خلال مسح رمز QR في أعلى الصفحة.

شروط النشر (الفنيَّة):

١- يقدّم البحث بملف واحد، يبدأ بالعنوان وينتهي بالمصادر، وألَّا يزيد على خمس وعشرين صحيفة.

٢- تكتب الهوامش داخل المتن وبين قوسين (APA) النظام الامريكي وكما ياتي :

- مع تطور الحياة (الزمخشري، ١٩٩٩: ٣٥).
- قائمة المصادر باللغة العربية (APA).
- قائمة المصادر باللغة الانكليزية.

٣- حجم الخط لـ (١٦).

٤- نوع الخط باللغة العربية ((Simplified Arabic واللغة الإنجليزية (Times New Roman)) .

- ملاحظة: في حال عدم الأخذ بشروط النشر نعتذر عن استلام البحث ونشره.

- يمكن زيارة موقع المجلة في مبنى الكلية في سبع إبكار أو التواصل عبر البريد الإلكتروني magazine@imamaladham.edu.iq.

أو الاتصال بمدير التحرير عبر الهاتف (٠٠٩٦٤٠٧٧٣٢٤٣٥٦٩٣)، ويمكن الاطلاع على أعداد المجلة عن طريق موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.https://www.iasj.net/iasj/journal/224/issues.

مميزات المجلة:

١- سياسة الوصول المفتوح: جميع الأبحاث متاحة مجاناً فور نشرها.

٢- تُنشر أربعة أعداد سنوياً منذ عام ٢٠٠٥.

٣- تستخدم برامج متقدمة للكشف عن الانتحال لضمان الأمانة العلمية.

٤- تُعنى بنشر الأبحاث التي تواكب التطورات وتسهم في معالجة قضايا المجتمع والحد من الظواهر السلبية.

٥- تنشر أعمال المؤتمرات والندوات المتخصصة.

كلمة العدد الرابع والخمسين

من عطايا الله سبحانه على الإنسان وهبه العقل، فالعقل عطاء إلهي، به يستبصر الإنسان، فيمايز الخير من الشر، ويهتدي إلى معاشه، ويتعلم ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

فبالعقل يعرف الإنسان ذاته، ويدرك أسرار الكون ويتعرف ما فيها من عبر ودلائل، فيوقن أن وراء هذا الإبداع الفريد إلها عظيما يتصف بالكمال المطلق، وهو خالق كل شيء وهو اللطيف الخبير.

وتتمايز الأمم بما لديها من ذوي العقول، وبما يقدمونه من أفكار وعلوم وأبحاث. وتبنى مؤسسات الدَّولة به، لا سيَّما التَّعليميَّة ومنها الجامعات والكليات، والَّتِي تعرف بأَساتيذها ونتاجهم العلميّ من بحوث رصينة تنشر بمجلات رصينة، ومن هذه المجلات مجلة كليتنا.

هيئة التحرير

المحتويات

١. العارف أَبو عليٍّ الدَّقاق النِّيسابوريُّ ١١
أ.د. أسماء عبد الله غني ١١
٢. الصورة الكنائية في شعر زيد الخيل الطائي ٣٣
م.د. أسامه ماجد سلمان صالح ٣٣
٣. آليات من مواجهة القلق والخوف نصوص مختارة من الفلسفة اليونانية والديانات السماوية الثلاثة -دراسة مقارنة- ٥٧
م.د. أيمن عبد الكريم علي ٥٧
٤. نقائض شعراء خراسان إمتثالية نفسية أم توجيه سلطوي ٨٥
م.د. باسم محمد صالح ٨٥
٥. مراعاة فقه الواقع وأثره في العمل الدعوي مراعاة المدعوين أنموذجاً ١١٥
م.د. رعد صبار صالح ١١٥
٦. العام دلالته وتخصيصه عند الإمام الأوزاعي ١٥٣
م.د. رياض محمد حسن العبيدي ١٥٣
٧. الأرقم بن أبي الأرقم وجهوده الدعوية في دار الدعوة الأولى ١٨٣
م.د. صالح خالد عبد القادر عياش ١٨٣
٨. التمكين المعرفي في القصص القرآني نموذج تربوي لتعليم التفكير النقدي في المدارس ٢١١
م.د. عبد القادر حسين صلبي طعان ٢١١
٩. الشريعة الإسلامية وأسس المواطنة: دراسة دستورية مقارنة بين العراق والمغرب ٢٣١
م.د. عمر الفاروق يونس محمد قاسم ٢٣١
١٠. نماذج من آيات النّعم في القرآن الكريم الدالة على الوحدانية في سورة النحل - دراسة وصفية - ٢٦٣
م.د. عمر حاتم حمد ٢٦٣

١١. الإيمان بالله تعالى في مواجهة أزمات الإنسان المعاصر ٢٨٩
م.د. ميسون سامي أحمد خميس ٢٨٩
١٢. رسالة في حق الحديث الضعيف لا يثبت به الأحكام الشرعية لأبي سعيد محمد بن مصطفى الخادمي (ت ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م) - دراسة وتحقيق وتعليق -..... ٣١٥
م.د. محمد الياس هاشم الطائي ٣١٥
١٣. حماية الأقليات أثناء النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني ٣٤٧
م.م. أحمد قيس نجم ٣٤٧
١٤. التطورات الاجتماعية في نيجيريا: دراسة في واقعها الصحي والتعليمي لعام ١٩٣٣ ..... ٣٧٩
م.م. خمائل حسين جاسم ٣٧٩
١٥. أثر الذكاء الاصطناعي في تشكيل الرأي العام من خلال منصات التواصل الاجتماعي ٣٩٧
م.م. عمر إبراهيم أحمد ٣٩٧
١٦. الخطط الإقتصادية التي تبنتها الحكومة السنغالية بعد إستقلالها عن حكم الإدارة الفرنسية (١٩٦٠ - ٢٠٠٠) ٤٢٧
م.م. فدوه أحمد عدنان عباس ٤٢٧
١٧. الزمن في التاريخ الإسلامي دراسة في التقويم والساعة وأوقات العمل والعبادة ٤٦٣
م.م. منذر عبد العزيز عواد ٤٦٣
١٨. أثر أسلوب القصص القرآني في الحد من السلوكيات المنحرفة ٤٨٣
م.د. تحسين عدنان محمد الدليمي ٤٨٣

نقائض شعراء خراسان إمتثالية نفسية أم توجيه سلطوي

Contradictions of Khorasan poets:

psychological conformity or authoritarian guidance

إعداد الباحث

م.د. باسم محمد صالح

المديرية العامة لتربية بابل - قسم التعليم المهني

Issues : Asst. Dr. Bassem Mohammed Saleh

PhD in Ancient Arabic Literature

General Directorate of Education in Babylon

Vocational Education

Department.

bas821104@gmail.com

تاريخ استلام البحث : ٢٥ / ٨ / ٢٠٢٥

الملخص

إن الخطاب الشعري لجماعة ما انعكاساً صادقاً لحال هذه الجماعة، هو تعبير حقيقي عنهم، ولكون الانتاج الفني مرتكز على ضفتين الأولى المبدع والثانية المتلقي، فإننا في هذه الدراسة نوجه أنظارنا نحو زاوية مهمة من الفنون الأدبية، فالشعر تاريخ الشعوب، وأغراضه المتنوعة وتعبير عن أحاسيس وهموم المجتمع.

والهجاء غرض له محفز داخلي يتم بدافع خاص أو عام ، ونحن نحاول أن نخترق الأبعاد النفسية عند المبدع للكشف عن تفاعلات الأنا والآخر ونتائجهما، ومرجعياتهما الثقافية، وكذلك عن نوايا السلطة في تسخير الشعر والشعراء لتقوية سلطتها، وقد اختارت الدراسة امارة خراسان في العصر الاموي ، لما شهده من ثورات وصراعات قبلية، انعكست على الشعر الذي بات اداة للتعبير عن الصراع النفسي من جهة، ولخدمة التوجه السلطوي من جهة أخرى، بعدما أصاب الدولة العربية المركزية الضعف والهوان، حيث ذهبت القبائل تسعى لنيل شهد السلطة، يتقدمها شعرائها بقصائد تعكس للآثار التي سببها هذ الطمع للسلطة، والتي ترجمتها أشعارهم وأساليب السلطة الحاكمة في تسخير هذه الرغبات الشخصية والعامة، فالصراع بين (الأنا ونحن والسلطة)، وما تولد عن ذلك من شعور بالنقص والاستعلاء على المحيط الاجتماعي، والرغبة بالتميز؛ استدعى إلى تطور هذا اللون من الشعر.

الكلمات الافتتاحية : (خراسان- النقائض- السلطة – الدونية)

Abstract :

The poetic discourse of a group is a true expression of the state of this group, and since artistic production is based on two banks, the first is the creator and the second is the recipient, in this study we direct our attention towards an important angle of the literary arts, as poetry is the history of peoples, and its various purposes are an expression of the feelings and concerns of society. Satire is a purpose that has an internal incentive with a private or general motive. We are trying to penetrate the psychological dimensions of the creator to reveal the interactions of the ego and the other and their results, and their cultural references, as well as the intentions of the authorities in harnessing poetry and poets to strengthen their authority, in an important aspect of the history of the Umayyad era, in the Khorasan region, which witnessed many revolutions and tribal conflicts, after the central Arab state was afflicted with weakness and humiliation. The tribes went seeking to obtain the honey of power, led by their poets with poems that reflect the effects caused by this greed for power, which their poetry and the methods of the ruling authority translated in harnessing these personal and public desires. Thus, the conflict was between the ego, us, and the authority, and what resulted from that was a feeling of inferiority and superiority over the social environment, and a desire for distinction.

Keywords: (Khorasan - opposites - authority - inferiority.)

المقدمة

طالما دأب الدارسون للأدب على تطويق الخطاب العربي الادبي والغور إلى أعماقه؛ لمحاولة فك رموزه وتجميع معاني حروفه؛ فلم يكن الادب يوما بمعزل عن المجتمع، فهو نتاج بيئة معينة وزمن محدد، يعبر عن هموم الناس، ويجسد تفاعلاتهم الفكرية والاجتماعية، فالكثير منهم يرى أن لكل خطاب أدبي دوافع وحقائق نفسية وثقافية متواريه خلف جمالية اللغة والبناء الشعري، فالكشف عن الجزء المغمور من النص ومعرفة الأنساق المكونة والمتحكمة بكينونته لها فائدة جمة في تطور الأدب العربي، فقد انبرى الشعر العربي بالقسط الأكبر من الدراسات الفكرية، ولتنوع أغراضه، تنوعت الدراسات الثقافية في مختلف الأغراض والعصور. ويبقى غرض الهجاء في العصر الأموي مهيمنًا على حيزٍ لا بأس به من الاهتمام، لما شهده هذا العصر من تنافس وتسابق حثيث بين القبائل والأفراد للفوز بغنائم الفتح الإسلامي، فظهور شعر النقائض علامة واضحة على هذا التنافس والتسابق، ونحن في ورقتنا البحثية نتتبع أبرز وأشهر النقائض الشعرية التي شهدتها رقعة جغرافية محددة من مدة زمنية معينة في خراسان.

انطلق الباحث من فرضية أن نقائض الشعراء كانت تغذيها أغراض سياسية تبنتها السلطة الحاكمة لتقوية نفوذها وجعل القبائل العربية تتمحور حولها لتحقيق منافعها الخاصة، وأيضا هناك اضطرابات وعقد نفسية أصابت الشخصية العربية والتي يمثلها الشاعر دفعته نحو غايات خاصة وضيقة، عادت بعد أن تلاشت مع بزوغ فجر الإسلام الحنيف ودعوته إلى التآخي والتعاون والإخوة بين المسلمين.

ولكي تكون الدراسة واضحة المعاني ومتسلسلة في الأحداث التاريخية، ومترابطة بين عناصرها الأساسية من الوحدة الزمانية والمكانية، والشخوص الفاعلة من الشعراء والسلطة، والحالات النفسية والثقافية التي نحاول إبرازها من الأبيات الشعرية المطروحة، جاءت الدراسة بهيكلية تمهيد للتعريف بالمفاهيم العامة وسيرة تاريخية لشخوص وشعراء موضوع الدراسة، مع مباحث تناولنا فيها بالشرح أبياتاً وقصصًا ووقائع من التاريخ العربي القديم تضمنتها الكتب القديمة لأشهر شعراء النقائض في تلك المرحلة، مع عرض أقوال وآراء الكتاب والعلماء الذين تناولوا الشعر العربي من الجانب النفسي للمتلقي وللمبدع.

التمهيد

إن أي ناتج من فنون الإبداع الفني، لم يكن من فراغ؛ وإنما ثمرة تضافر مجموعة من الجهود العامة والخاصة - الظاهرية منها والنفسية- فعلاقة الشاعر بمحيطه العام كانت موضع اهتمام عند المفكرين منذ "أفلاطون"، فالشاعر والشعر نتاج المجتمع يؤثر ويتأثر به، وعدَّ "أرسطو" الشعر صمام الأمان وعامل الاتزان الأساس للحياة الاجتماعية، وعند فلسفة "هيجل" الفن مهم للمجتمع وقيامه كأهمية الدين والفلسفة، وأشار المفكر والفيلسوف الفرنسي "إيبوليت تين» إن حظ الفنان من العبقرية يحدده مقدار تعبير هذا الفنان عن روح عصره، (ينظر:سويف، الأسس النفسية للابداع الفني الشعر خاصة، ١٩٦٩، ص ٣٤٠-٣٤٣) كل هذه الآراء وغيرها كثيرة توكد على الصلة الوطيدة بين الفن والمجتمع، ونحن نتناول دوافع شعر النقائض عند شعراء خراسان لا بد لنا من نبذة سياسية واجتماعية عن هذه الرقعة الجغرافية من الدولة العربية الإسلامية.

- خراسان: تعد هذه الكلمة من اللغة الفارسية ، ومتكونة من مقطعين « خر» ويحمل معنى الشمس و «آسان» وهو يعني المشرقة في الفارسية أي بلاد الشمس، اختلفت الروايات في فتح خراسان والأكثر قبولا سنة اثنتان وعشرون من الهجرة أنطلق العرب إلى الأقاليم المجاورة لبلاد فارس، وسيطروا على الري- قومس – طبرستان – جرجان –همذان – أصبهان، وتم فتح خراسان كاملة. (ينظر: عطوان، ١٩٨٩م : ص٢١، ١١).

لقد أخذت خراسان هذه الرقعة الجغرافية ومجتمعها، العصبية القبلية من القبائل العربية البصرية التي أسهمت في فتحها، وما زاد في هذا التنافس والعصبية السياسة الحاكمة التي كانت تسند إمارة الولاية التي تفتح إلى القبيلة التي قامت في هذا العصر، وهكذا كان يعين الولاة والأمراء من قبل خليفة المسلمين، حيث كان صوت القبيلة يعلو مع صوت النار، ومع استعارة العصبية بأنواعها، وتقاتلت القبائل العربية التي شاركت بالفتح طمعًا بالهيمنة والسلطة بعد وفاة يزيد بن معاوية وتراجع حكم آل أمية، حتى سنة ٧٨هـ تمكن الأزديين بقيادة المهلب بن أبي صفرة من إخماد الثورات والقضاء على الأزارقة، ومعه شعراء وزعماء قبائل يتقدمه كعب الأشقرى. (ينظر: ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي: ص١٦١-١٦٢).

- شعراء الهجاء في خراسان : إن الهجاء من الأغراض الشعرية الأساسية، حيث كان شائعاً في مختلف مراحل تاريخ الشعر العربي على الرغم من -تباين دوافعه وموضوعاته-، وقد عرف من الشعراء العرب الذين نظموا الكثير في غرض الهجاء حتى بات من سماته الخاصة، ومن شعراء خراسان ما اشتهروا بالتراشقات الشعرية بينهم، لأسباب سياسية واجتماعية وشخصية نفسية تحمل طابع المرحلة وظروفها وهو موضوع دراستنا .

- المغيرة بن حبناء التميمي:- شاعر وفارس من شعراء العصر الأموي، كان يعرف بابن الحبناء، والحبناء لقب لأبيه وقيل أنه اسم لأمه ،(ويقال له ابن حبناء منهم المغيرة وصخر ويزيد بنو حبناء وهي أمهم وأبوهم عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن عامر بن ربيعة بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة... والمغيرة شاعر محسن وكان من رجال المهلب بن أبي صفرة وله أشعار جياد حسان وكان صخر مقيماً بالبادية، وكان والمغيرة يتراسلان بالشعر يتناقضان، وكانا أخوين لأب وهما ابنا خالة وكان المغيرة يكنى أبا عيسى) (الآمدي، ١٩٩١: ص١٣٢).

- ثابت قطنة الأزدي: (وهو ثابت بن كعب بن جابر من بني العتيك وقيل بل هو مولى لهم ويكنى أبا العلاء، ويقال له ثابت قطنة بضم القاف وتسكين الطاء، وقطنة لقبه. ولقب بهذا لأن سهماً أصاب أحدى عينيه أثناء اشتراكه في حروب الترك، فكان يضع على العين المصابة قطنة فعرف بها. مات في سنة ١١٠هـ)(العتكي، ١٩٧٠، ص٥ ،١٠) ,

- حاجب بن ذبيان المازني المعروف بحاجب الفيل : - شاعر اكتنفت حياته الكثير من الغموض لم يكن معرفا ولم تظهر أخباره إلا من إشارة تاريخية سنة ٦٥هـ وهو ينقل للخليفة عبد الملك بن مروان صور القحط والفقر الذي أصاب العرب، وتبرز معالم الشاعر من خلال قناتين، الأول من خلال شعره في مدحه ليزيد بن المهلب، وتقاذف الهجاء مع ثابت قطنة. توفى سنة ١٢٠هـ.(ينظر: القيسي، ١٩٨٦ :١٨١).

- زياد الأعجم مولى عبد القيس:- من الشعراء الذين اشتهروا في مدح آل المهلب، وقد أختلف المؤرخون في اسم أبيه، فزياد اسمه الأول متفق عليه، أما اسم أبيه فقيل بن سلمى وقيل بن جابر وقيل بن سليمان وقيل بن سليم، كنيته أبو أمامه، وأما في أصله عربي أم عجمي، هناك أكثر من رواية، لقبه الأعجم معرف به لما أصابه من عجمة في لسانه، حياته ومماته وعلى الأرجح توفي سنة ١٣٢هـ.. (ينظر: الأعجم، ١٩٨٣: ص١٣) .

- كعب الأشقري:- هو كعب بن معدان الأشقري، ونسبه متصل بالأشاقر، وهم من أزد عمان، وأمه من عبد قيس، وله كنية أبا مالك، وقد عرف من خلال ارتباطه بالمهلب بن أبي

صفرة وبنيه، شارك معهم في حروب الفتوحات والخوارج، كان قريبا إلى يزيد بن المهلب في حكمه على خراسان، وأختلف مع بعد ذلك فهرب إلى عمان وقتل هناك على يد ابن أخيه سنة ٩٧هـ. (ينظر: الأشقري، ٢٠١٠: ص٨).

المبحث الأول : مناقضات حاجب الفيل وثابت قطنة

وعند تناولنا لمهاجاة شعراء خراسان ونقائظهم في عهد حكم آل المهلب، نجد أن هؤلاء الشعراء أكثروا من مدح السلطة الحاكم ورموزها، فابدعوا في ابراز محاسنها وفضائلها والتغني بكرمها وجودها، وما قدمته هذه الاسرة المتوارثة للحكم من انجازات، وتنافسوا في هذا الميدان اعتمادا بما يمتلكونه من طاقة لغوية وأدبية، مع ادراكهم لما ينطوي عليه مدحهم من غلو ومبالغة، وكان هذا التنافس يخفي وراءه غاية نفعية هي التسابق على نيل العطايا والهبات، ومن هنا يبرز النسق الثقافي الذي يقوم على مقولة « نحن الرعية الأدنى» اذا يسعى الشاعر الى استرضاء السلطة واستجداء العطايا مظهراً استعداده لتقبل كل ما يصدر منها، في ظل هذا الشعور تنكفئ الأنا العليا، ويعلن الشاعر دونيته أمام السلطة؛ حتى يحقق تفوقه ويميز نفسه عن غير من المنافسين في سبيل ارضائها .

- الدونية وحالة الشعور بالنقص :- يقول الأصفهاني(دخل حاجب الفيل يوما على يزيد بن المهلب وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقري وكانا لا يفارقان مجلسه فوقف بين يديه فقال له تكلم يا حاجب فقال يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتا قال لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك قال أيها الأمير إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفك موفيك حقك ولكن المجتهد محسن فلا تهجني بمنعي الإنشاد وتأذن لي فيه فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتي فقال له يزيد هات فما زلت مجيدًا محسنًا مجملًا فأنشده: « من الكامل «

كم من كميٍّ في الهياج تركتَه ... يَهوي لِفيه مُجدَّلا مقتولا
جلّلتَ مفرِقَ رأسِه ذا رَونقٍ ... عضْبَ المهزَّة صارِماً مصقولا
قُدْتَ الجِيادَ وأنت غِرٌّ يافعٌ ... حتى اكتهلتَ ولم تزل مأمولا
كم قد حَرَبْت وقد جَبَرت مَعاشر ... وكم امتننت وكم شفَيتَ غليلا)

(الأصفهاني، ١٩٩٤ : ٤٣٠\١٤) ،هذه الصورة تصور مشهدًا من المعركة خاضها يزيد بن المهلب، ترك فيها الأبطال والفرسان من العدو بين قتيلًا ومجروحًا وهم على بطوبهم خوفا منه. فالقتل بالجملة بلا تخصيص" كم من كميٍّ" لا يستثني أحد؛ وهذا الرعب القابع

في أعماق الشاعر من السلطة والقسوة المتمثلة بآل المهلب؛ إذا الفعل ليس جديدا عليهم بل أنه من الماضي ومستمر فيهم" وأنت غِرٌّ يافعٌ ... حتى اكتهلتَ." ،إنها جملة ثقافية، تحمل بين ثناياها القناعة المستمرة بضعف الذات وعدم القدرة على التغير، والخنوع نابعة من الداخل؛ إنه الشعور المطلق بالدونية أمام جبروت السلطة، فالخلاص يكون بالاستسلام الكامل للمصير المحتوم، (فباب عقدة النقص الخوف). (مراد : ص٩)، وطلب المنّة والصدقة والتقرب منه "وكم امتننت وكم شفَيتَ غليلا" نسق استجداء المال، هو جزء من النسق الأكبر نسق الدونية أمام السلطة، والذي يتوارى بأغطية وعناوين وجمال اللغة وفنونها الدالة بالظاهر عن المدح والتزلف لنيل العطايا من السلطة الحاكمة، وناسخاً للنسق المضمر الدال على الأنا العليا نسبيا، المستعينة بالسلطة خوفا منها مرة واستعلائها على قرينتها من المتجمع المنتمي إليه الشاعر.

إنها حالة من الإنهزام المفروضة من الداخل بسبب التسليم لفكرة هيمنة السلطة والتعايش معها وفق نظرية الهيمنة التي تكون فيها السيطرة نابعة من الداخل قبل الخارج من خلال قدرة المسيطر على اقناع المسيطر عليه بأحقيته لهذه السلطة وواجب الانصياع له، وهي ما تسمى بنظرية قرامشي في الهيمنة وتأثير الأيدولوجيات (ينظر: الغذامي، ٢٠٠٥ : ص١٨).

وبعد أن منح يزيد بن المهلب الشاعر حاجب بن ذبيان المازني العطايا والهدايا وحقق بذلك الشاعر غايته من المدح والثناء للسلطة، أثناءً على النعمّ التي وهبها إياه وعبر عن ذلك: " من الطويل"

(شِم الغَيْثَ وانظُر وَيْك أَين تبعَّجتْ كُلاه تَجِدْها في يَد ابن المهلّبِ.
يداه يدٌ يُخْزي بها اللّه من عصى وفي يَدِهِ الأُخْرى حياةُ المعصَّبِ.)

(الأصفهاني، ١٩٩٤ : ١٤\١٦٩) نسق الأنا الدنيا عند الشاعر تنتعش وتشعر بالنص؛ لأنها حققت غايتها وحصلت على مبتغاها، إذ نجد الشاعر يذهب في المدح للسلطة إلى أبعد مكان واصفا السلطة بالماء الذي هو سر الحياة فـ(شم البرق : نظر إليه أين يمطر... تبعج السحاب بالمطر: انفرج عن الوبل الشديد، وكلية السحاب: أسفله، والجمع كلي. المعصب: الّذي عصبته السنون أي أكلت ماله، والّذي يتعصب بالخرق من الجوع)(ينظر: الأصفهاني، ١٩٩٤ : ١٤\٤٣٠-٤٣١.).

يشير البعض الباحثين إلى إن استمرار الشعور بالدونية ومركب النقص عند الانسان يجعله متقبلًا له وطالبًا اياه؛ حتى يكون مع الوقت جزءاً من حياته يعتمد عليه في سلوكه وتصرفاته،

ولا يستطيع الفكاك منه حتى بعد زوال اسبابه، وهذا ما يبرره الفلاسفة والفقهاء لتفسير انجراف الناس وراء الطغاة، إذا يتعاملون معهم كما تُعامل القطعان، ويعود ذلك لفقدان الاستقلالية النفسية وضعف الاعتماد على الذات، مما يدفعهم للبحث عمن يقودهم ويتولى زمام أمورهم، رغم ما بلغوه من مراتب عليا ثقافياً وعلمياً.(ينظر: مراد : ص١٥) والشاعر ثابت قطنة، رغم ما يتقلد من مناصب عليا في الجيش، إلاَّ إنه يتسابق مع الشعراء في التقرب من آل المهلب، فقال في أبيات من الكامل:

(كُـلُّ القَبَائلِ بايَعُوكَ على الّذي تَدْعُو إليْه، وتابَعُوك وسارُو
حَتَّى إذا اخْتلَف القَنَا وجَعَلْتهُمْ نَصْبَ الأسِنَّةِ، أسْلَمُوكَ وطارُو
إنْ يَقْتُلوكَ فإنَّ قَتلَّكَ لم يَكُنْ عاراً عَلَيكَ، وبَعْضُ قَتْلِ عارُ.)

(ص٤٩،السامرائي، ١٩٦٨) يشير الشاعر في أبياته الى رضا القبائل واجتماعهم حول حكمه، وهي من الأبيات الجيدة عن النقاد القدامى إذ قال ابن قتيبة: (ويستجاد لثابت قوله في زيد بن المهلّب). (الدينوري، ١٩٨٧ : ٤٢٤\١٢) وذكر الأصفهاني: إن أهل العراق تركوه وفروا في المعركة مع مسلمة بن عبد الملك يوم العُقْرة وهو موضع ببابل قرب كربلاء (ينظر: الاصفهاني، ١٤١٥هـ : ٤٣٩\١٤).

والشاعر في هذه الابيات الشعرية يقدم التبرير على خسارته المعركة، ويلوم قبائل العراق لتركهم سيده زيد بن المهلب، ويتلقى ضرب الرماح والسيوف، ويذهب الشاعر إلى تصنيف الموت إلى فخر وعزة و إلى صف آخر يلحق العار بصاحبه. هذا التجنيس البلاغي والتنسيق الصوتي بين الألفاظ « يَقُتُلوكَ . قَتلَّكَ، قَتْلِ « مع توجيه الكلام وتخصيصه من خلال الضمائر المتصلة الدالة على الفاعل والمفعول به» بايَعُوكَ ، وتابَعُوك وسارُوا ،جعَلْتهُمْ، أسْلَمُوكَ وطارُوا» جميع هذه الوسائل الأسلوبية، وظفها الشاعر في صياغة فنية متمرسة؛ لتحميل الرعية التي هو منهم، حتى وأن لم يكن مشترك معهم مسؤولية خسارة السلطة المتمثلة بالأمير زيد بن المهلب، فدونية الفرد تجعله في حالة من المازوشية في تحمل الألم والخسارة أمام السلطة لإرضائها، وهذا الأسلوب في تقديم المدح من خلال رثاء أحد أفراد السلطة تكرر عن الشاعر ثابت قطنة عندما قدم العزاء في المفضل بن المهلب. من البسيط :-

(يا هند كيف بِنُصْبٍ بات يَبْكِيني وعائِرٍ في سَوادِ الليل يؤذيني
كأنَّ لَيْلِيَ والأصداءُ هاجدةٌ ليلُ السَّليم وأعيا من يُداويني
إنِّي تذكَّرْتُ قتلَي لو شهدتُهُم في حَوْمَةِ الموْتِ لم يَصَلوا بها دُونِي

لا خير في العَيْشِ إن لم أجن بعدَهم حرباً تُبِيء بهـم قتلي فيشفوني.)

(السامرائي، ١٩٦٨ : ص٦٤) يقول: الأصفهاني : (دخل ثابت قطنة يعزي هند بنت ... يقول: إن الداء الذي أصابهم وترك سوادا فوق أعينهم، ولهذا المصاب صدى صوت يمنعه من النوم، ولا عذر لي في ترك أخذ الثأر، والسير ليلاً قبل النهار وقتل الأبناء والآباء ليتشفى صدرنا. (ينظر: الأصفهاني، ١٩٩٤م: ٤٣٦\١٤) .

فكان الجواب عليه من أبنة المهلب حيث قالت: (أجلس يا ثابَت فقد قضيت الحق وما من الملاثية بدّ وكم من ميتة ميت أشرف من حياة حي، وليست المصيبة في قتل من استشهد ذابا عن دينه مطيعا لربه وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته وخمل ذكره بعد موته وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملا، يقال: إنه ما عزي يومئذ بأحسن من كلامها)(الاصفهاني، ١٩٩٤ : ٤٣٦\١٤). من خلال أبيات الشاعر أعلاه الدالة على مقدار الإحساس بالدونية أمام هيمنة السلطة، ونسق السلطة المتعالي والواضح من طريق الرد، فالرعية لا تنام الليل حزنا على الفقيد «سَـــواد الليل يؤذيـني - ليلُ السَّليم وأعيا « ، والسلطة لا تفرط بمكانتها وشرفيتها في الموت والحياة «وكم من ميتة ميت أشرف من حياة - «، والرعية تطلب العذر حتى تأخذ الثأر «قَوْسِي وعذَّرني - تُبِيء بهـــم قتــلي فيشفوني « ، والسلطة لا تجد في ذلك مصيبة لأن ذكرهم باقي وسلطتهم مستمرة « وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته وخمل ذكره بعد موته»

نجدّ تقبل واضح لهذا السلوك ليس فقط من قبل الشخص ذاته؛ وإنما من المجتمع أيضا،(إن أفكار مثل القيم والاعتقادات لم تفرضها مصادر عليا ولم تتطور بطريقة حرة وبالمصادفة، بل تم التفاوض بشأنها خلال مسلسل كامل من العوائق والصدامات بين الطبقات) (ساردار و فان لون، ٢٠٠٣ :ص٥٣)، فيكون الخنوع والخضوع والخوف والسعي لطلب الحاجة بأي وسيلة كانت سلوكًا سويًا مقبولًا عند الجميع فرضته عوامل الاحتكاك بين طبقات المجتمع؛ للسبيل في تنظيم ديمومة العلائق بينهم.

حالة التعويض بالاستعلاء: كان الشعراء يتنافسون في سبل الوصول إلى السلطة، إذا إن درجة التفوق على الخصم تُحدد بمدى القرب من الحاكم؛ فكلما قدم الشاعر فروض الطاعة والولاء للسلطة ترسخت في نفسه مبادىء الدونية، وتعاظمت في المقابل دوافع الاستعلاء والنرجسية تجاه الآخر من الرعية، ولهذا ظل التنافس محتدماً بين شعراء، فبعد أبيات الشاعر حاجب الذبياني المازني انبرى الشاعر ثابت قطنة الأزدي ينافسه، إن صح الوصف في دونيته اتجاه السلطة. فالأمر لم يعد موقفاً شخصيا الغاية منه التكسب والفائدة المادية، وإنما ذهب

إلى أبعاد سياسية ومذهبيا آخر؛(فقبيلة ثابت قطنة وهي من» الأزد « وقد سكنت البصرة و شهدت هذه المدينة قمة الصراع والأحداث السياسية سواء أكان دافعاَ قبليا أم مذهبياً، مثل الذي شهدته جارتها « الكوفة «وقد تشكل في البصرة ما يشبه الأحلاف أو الجبهات السياسية، كان مبرزها الحلفان الكبيران حلف تميم وقيس وحلف الأزد وبكر وعبد قيس) (السامرائي، ١٩٦٨. ص١٤- ١٥).

فبعد ما سمعنا من تزلف وتقرب إلى السلطة، نرى النظرة الاستعلائية اتجاه الآخر من الرعية التي ينتمي إليها الشاعر ثابت قطنة، وكيف يتبادلون بينهم الكلام الحاد ويتفاخر كل منهم بذاته، ويحط من شأن المقابل لإشباع الرغبة النرجسية، لنسيان نسق الدونية مع السلطة.

وبعد أن نال الشاعر حاجب المازني عطايا سخية من الامير، حسده ثابت قطنة وذهب يستخف بما قاله من شعر، معبراً ابياته لاستحق إلا كفٌّ نوّى، وما حصل عليه من عطايا لم يكن لجود شعره وإنما لكرم الامير. (ينظر: الأصفهاني، ١٩٩٤: ١٤\٤٣١)، وحتى في هذا الموقف يبرر ثابت القطنة ازدواجيته ؛ فهو يعلن دونيته أمام السلطة؛ بينما يتعالى على الرعية ، وفي هذا السياق يهجو حاجباً بأبيات «من الطويل»

(أحاجبُ لولا أنّ أصلك زيّف ... وأنّك مطبوعٌ على اللؤمِ والكفرِ
وأنّي لو أكثرْتُ فيك مُقصّرٌ ... رميتك رمياً لا يبيد يَدَ الدهْرِ
فقلْ لي ولا تكذب فإنّي عالمٌ ... بمثلك هل في مازن لك من ظهر؟
فإنك منهم غير شكٍ ولم يكنْ ... أبوك من الغرّ الجحاجحة الزّهر
أبوك ديافيٌّ وأمّك حرّةٌ ... ولكنّها لا شكّ وافية البظرِ
فلست بهاجٍ يا ابن ذبيان حشة ... ولا رينة حتى أُغيَب في القبر
وقُلْ انت ما شئت ابن ذبيان إنني ... سأكرم نفسي عن سباب ذوي الهجر.)

(السامرائي، ١٩٦٨: ص٤٥-٤٦). النص كما ذكرنا آنفًا كانت تعبير عن حسد وضغينة من الشاعر ثابت على الشاعر حاجب الفيل كما يسميه، بسبب المكاسب والعطايا التي حصل عليها من الأمير المهلب. الزيف: الشك في الأصل يد الدهر أي يد الزمان. ويقصد أنه يستحق الهجاء طول الدهر. ومازن قبيلة الشاعر، و من ظهر أي من الأنصار والقوة التي يعتمد عليها، والجحاجحة، وهو السيد المتسامح الكريم وهي صفة خاصة بالرجال يقال رجل جحجح.. والديافي وهي من القرى في الشام أو الجزيرة العربية وأهلها نبط ، والبظر موضع في جسم المرأة يطلق للذم.(ينظر: الأصفهاني، ١٩٩٤:. ج١٤\٤٣١).

وجه الشاعر كلامة مباشرة إلى خصمه بنداء صريح « أحاجبُ لولا أنّ أصلك زيّف» وقد استعمل أسلوب الشرط في أداة غير جازمة، دالة على امتناع الجواب لامتناع الشرط، وذلك لإثراء المعنى وإثارة المتلقي ولتقليل شأن الخصم والإساءة إلية في محاولة لإطفاء نار الغيرة والحقد وإرضاء نرجسية الذات والشعور بنشوة الاستعلاء على الآخرين،

إن هجاء الرجل للرجل يختلف في طبيعته، إذ تتشكل في هذا الهجاء صورة جدلية يكون إطارها العام موجهة بين شخصين متقابلين؛ غير إن الصورة الحقيقة أعمق من ذلك فهي تعكس صراعاً بين أنا الشاعر وبين صورة الخصم في وعيه، يُسّخر الشاعر في هذا السياق كل الوسائل والأساليب المتاحة لتهميش نظيره واتصافه بأبشع ألفاظ الازدراء بغية النيل منه واضعاف مكانته .(ينظر: عبد السادة و المعموري : ٢٠٢٣ ص٢). فلكل فرد في هذا الكون هدف يسعى للوصول إليه، وهذا الهدف تحدده مشاعره الدونية، وأيضا عدم الكفاية والقدرة وقلة الثقة بالنفس، وفوق كل هذا تأتي الرغبة عندنا جميعا بالظهور؛ والتي تزرع في داخلنا من اليوم الأول للحياة فنطلب من الوالدين الاهتمام بنا؛ وهذا الشعور يؤدي إلى تطور الرغبة على إثبات الوجود واعتراف الآخرين بنا، فتسير جميع هذه المشاعر موازياَ مع حالة الإحساس بالدونية؛ حتى يثبت الفرد أنه أصبح متفوقاً في محيطه الاجتماعي. (ينظر: أدلر، ٢٠٠٥ ، ص٨٢)، ولمحاولة جمع الخيوط فإن فرضيتنا من هذه الدراسة تتمثل في: أن الاستعلاء الذي يمارسه الشاعر بأسلوب من العدوانية المفرطة اتجاه محيطه الاجتماعي؛ ما هو إلا تعويض عن حالة الإحساس بالنقص والدونية التي سيطرت عليه أثناء تعامله مع السلطة، فعندما لا يستطيع التخلص من هيمنة السلطة، يخضع إليها مرغما، وهذا ما يجعله يعيش حالة من الصراع الداخلي بين الطموح والواقع، ما يجعله وسيلة للتعويض من الدونية اتجاه السلطة بالاستعلاء والنرجسية والعدوانية من الآخر المنتمي إلى محيطه.

فرد عيه حاجب الفيل (فقال حاجب: والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده، ولا بهجاء الأزد كلّها، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طرّا؛ فقال يهجوهم: « من الطويل»

(دعُـونـي وقحـطـانـاً وقـولـوا لثابـتٍ تنـــحَّ ولا تقـــرَبُ مُصـــاولة البُـــزْلِ
فـلَـلـزِنَّـج خـيـرٌ حـيـن تُـنـسَـب والـد مـن ابـنـاء قـحـطـانَ العفاشِلة الـغُـرْلِ
أنـــاسٌ إذا الـهـيـجـاء شَـبّـتْ رأيـتّـهـمْ أذَلَّ على وَطءِ الهَوَانِ مـــــن النّعلِ
نـسـاؤهُـم فـوضَـى لـمـن كـان عـاهِـر وجِيرانهمُ نهبُ الفوارِسِ والـــرّجْلِ)

(الاصفهاني : ٤٣١\١١٤.) البزل جمع بازل : وهو الرجل الكامل في تجربته. والعفاشلة

جمع كجعفر: وهو الثقيل الوخم. التنابلة؛ والتنبل : الرجل القصير . والغرل : جمع أغرل وهو الذي لم يختن.) (الاصفهاني : ٤٣١\١٤) . هذه الحالة من الاستعلاء والعدوانية متبادلة بين الشاعرين، شكلت حالة من التراشق المتبادل بينهم، محورها الأساس سلطة آل المهلب، وعقد النقص والدونية عند الشاعرين في مدائح لهذه السلطة والتقرب منها. فقال الشاعر حاجب الفيل يهجو ثابتاً: من « البسيط «

(أبا العَلاءِ لقد لُقِّيتَ معضلةً يومَ العَروبة من كربٍ وتخنيق
أمّا القُران فلم تخلَق لمحكَمه ولم تسدَّد من الدنيا لتوفيق
لمَّا رمتْكَ عيونُ الناس هِبتَهمُ فكدتَ تَشرقَ لمَّا قمتَ بالرِّيق
تلوِي اللسان وقد رُمْتَ الكلام به كما هَوَى زَلِقٌ من شَاهقِ النِّيق.)

(الأصفهاني، ١٤١٥هـ : ٤٢٨\١٤) ومناسبة هذه الأبيات أن يزيد بن المهلب طلب من الشاعر ثابت قطنة، أن يصلي الجماعة في الناس يوم الجمعة، وعند المنبر لم يستطع أن ينطق بكلمة فهجاه حاجب،(ينظر : الموضع نفسه)، الشاعر حاجب المازني يهجو بالأسلوب نفسه، فهو لا يتردد في التشخيص من خلال أسلوب النداء «أبا العَلاءِ» لتأكيد المعنى و إثارة المتلقي، وأيضا لتحديد الموضوع وإبرازه «يومَ العَروبة «. وثابت قطنة لم ينتظر طويلا على منتقديه، فقد أورد ابن قتيبة في كتابة الشعر والشعراء(كان ثابت قطنة قد ولي عملًا من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعذّر عليه و حصر، فقال: سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً، و بعد عيّ بيانا، و أنتم إلى أمير فعّال، أحوج منكم إلى أمير قوّال:

و إلّا أكن فيكم خطيبا فإنّني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيب.) (الدينوري، ١٩٨٧ م : ج٤٢٤\٢)

والبيت الشعري فيه إقرار من الشاعر بتعثر في أداء خطبة الجمعة، ومعاني الكلمات ودلالتها تبرز الحالة النفسية المتشنجة للشاعر، وهذا الكلام المتعالي بلغة التهديد موجه إلى الآخر من الشعراء ومن حضر الصلاة الذين يمثلون الرعية. ليرد الشاعر حاجب الفيل المازني عليه بمهاجاة مشهورة، فيها كلاما لاذعا قال فيه: من البسيط:

(تفضي الامورَ وبكرٌ غيرْ شاهدها بين المجاذيف والسكان مشغولُ
لا يَعرِفُ الناسُ منه غيرَ قُطنتهِ وما سواها من الأنساب مَجهولُ.)

(الاصفهاني، ١٤١٥هـ : ٤٣٠\١٤). إن هذا التراشق الهجائي بين الشعراء لا يمكن لها الشيوع والتطور من غير أن تكون حاضنة له؛ بالإضافة إلى الأسباب والعوامل التي تساعد على

شيوعها بين الشعراء، فنجد شاعرا يهجو شاعرا آخر ويرد عليه بدون واعز ديني ولا من مانع اجتماعي أو سياسي، بل العكس نجد التشجيع والتلقي الجيد لهذا النوع من الغرض الشعري.

الباحث يعزي ذلك للدور الكبير الذي يمارسه المتلقي؛ المتمثل في المجتمع السائد وعلى رأسها السلطة، فلا يمكن فهم فناً بمعزل عن متلقى جيد لهذا الفئة، لأن الفن في طبيعته يؤدي وظيفة اجتماعية تبرز وتتطور وتتكرر بمقدار تقبل المجتمع والجهة الراعية له.

يقال في التفسير النفسي للأدب عن حالة حلم اليقظة للشاعر النرجسي وهو يزهو بنفسه، إن لا معنى لإعجاب الفنان بإبداعه؛ إذا لم يكن هناك متقبل شرّه لهذا النوع من الإبداع (يظهر لنا معنى إلحاحنا الدائم على ضرورة فهم الفنان غير منفصل من متلقي فنه..... وتحقيق الفنان لذاته بأن يبدع عملًا فنياً لا يتم مطلقاَ إلا إذا كان هناك من يتلقى هذا العمل، ولن يظفر فنان يمجد ذاته بأي تقدير من الجمهور.) (إسماعيل : ص٢٤-٢٥) وهذا ما يفسر كثرة وسرعة التراشقات الهجائية بين الشعراء في هذا العصر.

إننا في عرضنا ومناقشتنا للأبيات التي تحمل معنى الهجاء بين شعراء خراسان، درسنا الجانب الفني والأسلوبي في عملية الإبداع الشعري، ووقفنا عند بعض المعاني المهمة، والبناء التركيبي الفني ومواقع القوة والتميز فيه ليس لغرض الموازنة بين الشاعرين؛ وإنما لإثبات ما فرضناه من بداية الدراسة، فالشعور بالنقص أمام السلطة، يسبب الرغبة بالاستعلاء مع الرعية.

للشاعر وعملية الإبداع علاقة وثيقة بالمجتمع وهذا (كان موضع اهتمام المفكرين منذ أفلاطون)(سويف، ١٩٦٩: ص٣٤١)، فنسق الأنا في الشعر العربي لا يختلف عن نسق نحن، حتى وأن كان يمثل الآخر؛ فإننا نجتمع بأطر تقليدية، كأطر الدم، والعادات والتقاليد، وهذا من الطبيعي بأن تكون حواجز أما مرنة سهلة أو صلبة جامدة تتحكم بنوعية الشاعر وابداعه (فالمجال الاجتماعي الجامد ذو الحواجز المتصلبة لا ينتح الحياة؛ إلا للشعراء الاقزام الذين ليسوا من العبقرية في شيء) (سويف، ١٩٦٩: ص٣٤١) وعقدة الاستعلاء وأسباب تضخم الأنا عند شعراء النقائض في خراسان كانت استجابة لحال المجتمع الذي كان يسعى للتنافس مع الآخر الذي يمثل نحن الرعية، للتستر على عقد الدونية التي كان يعاني منها اتجاه السلطة العليا المتمثلة بحكام آل المهلب.

المبحث الثاني : مناقضات المغيرة بن حبناء التميمي، وزياد الأعجم مولى عبد القيس.

نتناول في هذا المبحث شاعرين آخرين من شعراء خراسان الذين شاعت بينهما المناقضات الشعرية، وفي عهد ولاية آل المهلب ومن العصر الأموي، في المبحث السابق وقفنا عند الدور الكبير للمجتمع السائد في تأجيج هذه المهاجات الشعرية، والوضع الاقتصادي الذي شجع بشكل أو بآخر أفراد المجتمع على سعي وراء المال ورضا السلطة.

فقد ظهر في خراسان تمايز طبقي، وبرزت طبقة الأثرياء الذين كان لهم اليدّ الطويلة في شؤون الدولة، فاستحوذوا على الأراضي، وسيطروا على الناس عن طريق تحكمهم بأرزاقهم، وبات الناس في سباق دائم من أجل لقمة العيش.(ينظر : المجيد، ١٩٩٢: ص٣٢-٣٤). وهذا ما يدعم رأي الباحث بأن للسلطة الحاكمة والمجتمع السائد أثراً كبيراً في ظهور عقد النقص والدونية لدى الرعية بشكل عام اتجاه السلطة الحاكمة وعقدة الاستعلاء وحب الأنا اتجاه الآخر من أبناء الرعية.

فالشاعر زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء بسبب تنافسهما على قبول الرضا وتقديم الطاعة والولاء للسلطة وكسب للعطايا منها، فلقد ذُكرَّ في كتاب الاغاني: (إن المغيرة بن حبناء التميمي، وزياد الأعجم مولى عبد القيس. فقد اجتمعا مع كعب الأشقري عند المهلب بن أبي صفرة، ومدحوه جميعا، فوهب زيادًا غلاما فصيحا لينشد عنه شعره، لأنه كان لا يفصح، فظن المغيرة أنه فضله: عليه، فراجعه، وبلغ زيادًا ما كان منه فهجاه بقوله). (الأصفهاني، ١٩٩٤ ،٦٢\١٣) من : (بحر الطويل):

(أَرى كُلَّ قَومٍ يَنسَلُ اللُّؤم عِندَهُم ... وَلُؤم بَني حَبناءَ لَيسَ بِناسِلِ
يَشُبُّ مَعَ المَولودِ مِثلَ شَبابِهِ ... ويَلقاهُ مَولوداً بِأَيدي القَوابِلِ
وَيُرضِعهُ مِن ثَدي أُمٍّ لَئيمَةٍ ... وَيُخلَقُ مِن ماءِ امرئٍ غَير طائِلِ
تَعالَوا فَعدّوا في الزَّمانِ الَّذي مَضى ... وَكُلُّ أُناسٍ مَجدُهُم بِالأَوائِلِ
لَكم بِفعالٍ يَعرِفُ النّاسُ فَضلهُ ... إِذا ذُكِرَ الأَملاءُ عِندَ الفَضائِلِ
فَغازيكم في الجَيشِ أَلأَمَ مَن غَز ... وَقافِلكُم في النَّاسِ أَلأَم قافِلِ
وَما أَنتُمُ مِن مالِكٍ غَيرَ أَنَّكُم ... كَمَغرورَةٍ بِالبَوِّ في ظِلِّ باطِلِ
بَنو مالِكٍ زُهرُ الوُجوهِ وَأَنتُمُ ... تَبيّن ضاحي لُؤمكُم في الجَحافِلِ.)

(الأعجم، ١٩٨٣،ص٩١). لغة الأبيات واضحة القصد، فالشاعر زياد الأعجم عرف

بأسلوب الهجاء. وهو لا يترك رزية عرفت العرب قبحها حتى يصف بها آل حبناء على الرغم من تضاده مع الشاعر المغيرة فقط. وفي نهاية الأبيات التي ذكرها صاحب كتاب الأغاني يعلق على تفسير البيت الأخير (يعني برصا كان بالمغيرة بن حبناء.) (الأصفهاني، ١٩٩٤ ،٦١\١٣٠) فيعيرهم بلون بشرتهم، فالشاعر يعاني من حالة الشعور بالنقص، يهجو الخصم الآخر من الرعية بما يحمل من النقص.

إن النصوص الأدبية تعمل على بلورة الفعل الإنساني وترجمته، فلا بد لكل نص فكرة وموضوع يتمحور حولهما العمل الابداعي أيما كان نوعه خيراً أم شراً، و إلى موضوعات غير متناهية، ومن خلالها يظهر التنافس في كل عصر بين الشعراء (من رغبتهم في تقويض الآخر مقابل الإعلاء من شأن ذواتهم، ولقد أظهروا هذه الرغبة في أساليب شعرية كثيرة، وشكلوها حسب شاعريتهم وطرائقهم الخاصة، يتم هذا التقويض على الأغلب من خلال السلطة التي مثلها الحاكم، عندما قرب فرداً على حساب فرد آخر، أو فرداً على حساب جماعة. أو بواسطة المجتمع الرافض للأفراد، يرون في أنفسهم الجدارة، بأن يأخذوا موقعهم، ودورهم الحقيقي في المحيط الذي يعيشون) (المرازيق،٢٠٠٩،ص٣١).

هذا النسق الثقافي لا يكون بين عامة المجتمع كحالة شاملة؛ وإنما بين عنصرين أو أكثر متهيؤون نفسياً بما يحملونه من تأزم نفسي وحالة من الشعور المتضاد بينهم. فلم ينتظر طويلا الشاعر المغير بن حبناء على هجاء زياد، فكانت أبياته الشعرية تناغم الوتر الحساس وعقدة النقص التي طالما يعاني منها الشاعر زياد الأعجم، فردود الشاعر المغيرة ضخمت عنده الأنا وعاش معها حالة من نشوة النرجسية المفرطة، أمام دونية الآخر من الرعية التي يمثلها الشاعر زياد الأعجم؛ فعقدة النقص التي كان يعاني منها الشاعر زياد الأعجم تعود إلى جهة النسب والعشيرة، فزياد أعجمياً ليس من العرب فلا ينتمي إلى عشيرة عربية معروفة، وهو مولى لعبد قيس. (ينظر: عطوان، ١٩٨٩م : ص٨١.) فجاء رد المغيرة . من الكامل:

(أَزِيادُ إِنَّكَ وَالَّذي أَنا عَبدُهُ ... ما دونَ آدَمَ مِن أَبٍ لكَ يُعلَمُ
فَالحَقْ بِأَرضِكِ يا زِيادُ وَلا تَرُم ... ما لا تُطيقُ وَأَنتَ عِلجٌ أَعجَم
أَظَنَنتَ لُؤمَكَ يا زِيادُ يَسُدُّهُ ... قَوسٌ سَتَرتَ بِها قَفاكَ وَأَسهُمُ
عِلجٌ تَعَصَّبَ ثُمَّ راقَ بِقَوسِهِ ... وَالعِلجُ تَعرِفُهُ إِذا يَتَعَمَّمُ
تَهجو الكِرامَ وَأَنتَ أَلأَمُ مَن مَشى ... حَسَباً وَأَنتَ العِلجُ حينَ تَكَلَّمُ
وَلَقَد سَأَلتُ بَني نِزارٍ كُلّهُم ... وَالعالِمينَ مِنَ الكُهولِ فَأَقسَمو

بِـالـلَـهِ مـا لَـكَ فـي مَـعَـدٍّ كُـلِّـهـا حَـسَـبٌ وَإِنَّـكَ يـا زِيـادُ مُـوَذَّمُ.)

(الاصفهاني،١٣، ١٩٩٤\٦٣). لقد تناول المغيرة زياد الأعجم بما يثير عنده الشعور بالدونية، فأبياته تحمل طابع الهجاء، وحقلها التركيبي والمعجمي فيه معاني ومرادفاتها من مفاهيم النسب والأصول العشائرية. فـ(العلج: الرجل من كفار العجم، راق بقوسه أي ظن أنه راق بها، أي زاد فضلا. البظر: هنة بين أسكتي الفرج. الموذم بضم الميم وتشديد الذال: المقطع. وكلب موذم : جعلت في عنقه قلادة. بالبناء للمجهول. الظليم: ذكر النعام. زائدة الظليم: هنة وراء الظلف، أو شبه أظفار الغنم في الرسغ في كل قائمة زائدتان كأنما خلقتا من قطع القرون، والشعرات المدلاة مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب.) (الأصفهاني،١٣، ١٩٩٤\٦٣).

ومن خلال الموضوعات والأسلوب المتبع من قبل الطرفين في أبيات الهجاء المتبادل بينهم، نجد كلٌ منهم قد وجه سهامه نحو مواضع النقص في الآخر، فكما اطلعنا في أبيات المغيرة بن حبناء وهو يركز في هجاء على نقاط النقص عند زياد الأعجم الذي كان يعاني من لكنة في لسانه، وأيضا أصله غير العربي، هذه العيوب أدت إلى الدور الكبير والمحوري في تقاذف الهجاء. ونجد أيضا زياد الأعجم يهزأ من البرص الذي كان عند المغيرة، والعوق الولادي الذي كان يعاني منه إخوته. (ينظر: الأصفهاني، ١٩٩٤: ١٣\٦٨).

إن الشعور بالدونية لا بد له من مغذيات اجتماعية تنميه، فيتحول إلى حالة مرضية عند الشخص يشعر به ويحاول مقاومته، من خلال تبنيه لمواقف عدائية من المحيط الاجتماعي.

فعند أطباء علم النفس البشري قانون أساسي ينص على أن حياة الإنسان مع إعاقة جسمانية كانت أم غير ذلك، تكون حياة مريرة تتزاحم فيها الصراعات، لا يتجاوزها أحدهم إلا وقد ضحى من شعوره الاجتماعي، فمن الصعب جدا أن يخرج منتصراً، فالتكيف مع الآخرين يحتاج إلى جهد عظيم، وكل ما يملك من قدرة ستكون موجهة نحو الاهتمام بنفسه، وانطباع الآخرين عنه. (ينظر: أدلر، ٢٠٠٥ : ص٧٩).

وفي خضم هذا الصراع القائم بين الأنا المتعالية التي يمثلها الفرد « الشاعر» والرعية والتي يمثلها « نحن» أو «الآخر» من أفراد المجتمع، تتعالى فيها حالات الصراع حتى تصل إلى درجة يشعر الجميع أن كيانهم وتوازنهم الاجتماعي مهدد بالانفراط، بالرغم من حب الأنا والصراع لتحقيقها؛ إلا إنهم لا يستطيعون العيش من غير بعضهم، أو من غير» النحن « فهي مجتمعات قائمة على ترابط اعضائها،(وهي ذات حظ كبير في الثبات، تحقق لأعضائها

نوعا من التوازن السيكولوجي يفقدونه إذا انفصلوا عنها،... حيث الأنا مندمجة في القبيلة) (سويف، الاسس النفسية للأبداع الفني في الشعر ، ١٩٦٩: ص١٢٤) فهم لا يستطيعون العيش إلا جماعات ووسط مجتمعهم، وما يطلقون عليه في علم الاجتماع « الحاجة إلى نحن»، وهذه الحاجة تدفع الفرد إلى الانخراط في موقف» نحن « أي بمعنى لا يستطيع فعل شيء دون التكامل مع الآخرين، لأنهم مصادر الاستحقاق الخارجي، فـ(عندما لا يعرف الانسان قيمة نفسه « استحقاقه « يبدأ باستمداد هذه القيمة من مصادر خارجية تبعاً لما يرى مجتمعه وأسرته وأصحابه أنه ذو قيمة في هذا الواقع... كالمال والسلطة ...) (الحسني، ٢٠٢١ : ص٦٥). ويعمل الفرد بتأثير مباشر من هذه الحاجة ومع تكرار المحاولات للوصول اليها حاجته يتحول شعور لفرد من « أنا « إلى « نحن « ويرى العالم « شولته « أن هذا الموقف في « الحاجة إلى نحن» ويظهر عند أشخاص معينين مثل كالقابلين للإيحاء؛ بينما بعض الافراد المتمركزين لا يظهر لديهم هذا الشعور بنفس القوة.(ينظر: سويف، ١٩٦٩: ص١٢٥-١٢٤) والفرد يصل إلى هذه النقطة عندما يجد نفسه عاجز أمام قوة الكون والطبيعة ورزايا الدهر، فلا ينفعه فيها تقربه من سلطة، أو أي إمكانات بشرية، فيتهاوى الشعور بحب «الأنا « وسلطانه أمام دفيء الجماعة والحاجة إلى» النحن «.

والشاعر المغيرة بن حبناء يرتضي لنفسه أن يهجو الشاعر زياد الأعجم بما عنده من داء وهو (لكنة اللسان)، وفضلا عن ذلك العبودية التي ولد بها، ويعيب عليه أبياته التي تناول فيها أسرته بأدوائهم، فقد أفصح عن ذلك. (ينظر: الأصفهاني،١٣، ١٩٩٤\٦٨) .

مع هذا القول للشاعر المغيرة بن حبناء انتهت المعركة الهجائية بينه وبين زياد الأعجم، والتي كانت معركة تعكس معاناة النفس البشرية المضطربة والقلقة من واقع ساد فيه المال وبات المجتمع فيه طبقات من أسياد ورعية وعبيد، فراح أفراد المجتمع يتسابقون بينهم، فكان مضمار السباق بين الأنا والرعية، والدافع هو إخفاء حالة الشعور بالدونية أمام استعلاء السلطة؛ ولحاجة الفرد إلى هذه السلطة الحاكمة وما تملكه من قوة مادية ومعنوية يضطر من أجل عطاياها؛ أن يمارس أشكالا من الخنوع والخضوع، ما يخلق في داخله صراعاً نفسياً يجعل الفرد في المجتمع يلهث وراء غايتين، الأولى تحقيق الذات داخل الجماعة والثانية اشباع النرجسية الشخصية من خلال التفوق على الآخرين.

المبحث الثالث: مناقضات، كعب الأشقري و زياد الأعجم.

السباق لنيل رضا السلطة وعقده المميزة:- إن الفرد في المجتمع يحتاج معرفة قيمة نفسه، وهذه القيمة مرتبطة بالاستحقاق، فلا يمكن لأي فرد في المجتمع العيش مستقلاً عن الغير، فهو بحاجة إلى (الاستحقاق الخارجي) (الحسني، ٢٠٢١ : ص٦٥) والسلطة هي أهم استحقاق خارجي في الواقع، فالسلطة (هي علاقة قوى، أو أن كل علاقة قوى على الأصح، علاقة سلطة) (دلوز، ١٩٨٧ : ص٧٧)، فالشاعر كفرد في المجتمع يسعى للوصول إلى هذه العلاقة لإشباع حاجاته، لكن يجب أن نفرق في هذا السعي بين الإنسان السوي الخالي من أي عقد نفسية، وبين الإنسان الذي يعاني عقدة النقص، (إذا امتلك الشخص أكثر من مصدر خارجي وهو يعاني عقدة نقص، سيدخل في عقده المميزة، وهو إحساس بالاختلاف والتميز لكن بطريقة غير سوية، ليكون أفضل من الوسط المحيط به، على عكس المتميز السوي الذي يقدّر إنجازه الذاتي، لكنه يعلم أنه بالنهاية إنسان عادي مساوٍ للجميع)(الحسني، ٢٠٢١ : ص٦٦).

لذا نجد شعراء النقائض يتفننون في السعي للتقرب نحو السلطة بذات القوة التي يحاولون فيها الهجوم على المنافسين لهم من أفراد الرعية، والسلطة تشجع على ذلك، يقول الأصفهاني في كتابه:(كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء: تشبهوني مرة بالأسد، ومرة بالبازي، ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده ! : من « بحر الوافر»

بَــراك الله حِـيـنَ بــراكَ بَـحْـر ... وفَجَّر مِنْكَ أنـهـاراً غِـــــــزار
بـنـوك الـسـابـقـون إلـــى الـمـعـالـي ... إذا مـا أعـظـمَ الـنـاسُ الـخِـطـار
كـــأنَّهُمُ نجـــومٌ حـولَ بَـدْر ... دَرارِيٌّ تَكَـــمَّل فـــاسْتدَار
ملـــــــوك ينـزلـون بـكـلِّ ثَـغْـرٍ ... إذا مـا الـهـامُ يـومَ الـرَّوْع طـــار
رِزانٌ فـي الأمـــور تَـرى عليهم ... مـن الـشَّـيـخ الـشـمـائـلَ والـنـجـار
نـجـومٌ يُـهـتَـدَى بـهـمُ إذا ما ... أخـو الـظَّـلْـمَاء في الـغَـمَـراتِ حـارا)

(الاصفهاني، ١٩٩٤ :١٤\٤٤٣-٤٤٤).

ولشهرة هذه القصيدة وأبياتها، يروى عن المنصور أنه قال لابن هرمة وقال له قد مدحتك بمدحة لم يمدح أحد بمثلها فقال المنصور: وما عسى أن تقول بعد قول كعب في المهلب. وأنشد هذين البيتين.) (المرزباني، ١٩٨٢ : ص٣٤٦).

والقصيدة في معاني أبياتها ومناسبتها تدول حول وصف لبطولات المهلب وانتصاراته على

الأزارقة، (ينظر: عطوان، ١٩٨٩م : ص٢٤٤-٢٤٦)، وهذا ما يدعم رأينا القائل أن الانسان له استحقاق خارجي من أهم مظاهره السلطة لتحقيق الإشباع، وهذا الاستحقاق عند الشاعر كعب الأشقري بات بحكم عقدة النقص المميزة التي أشرنا اليها آنفاً، فهو أحساس بالاختلاف عن الآخرين بطريقة غير سوية، فهو يملك حاجات أخرى غير الاستحقاق الخارجي للسلطة « يملك العشيرة القوية - والتاريخ الكبير فهو فارس وقائد. لذا وجد الاتكاء على سلطة آل المهلب وهي الطريق السليم لمواجهة تمرد وثورات القبائل العربية، ومنها قبيلة عبد القيس التي ينتمي إليها الشاعر زياد الأعجم. والتي كانت السبب وراء مهاجاتهم الشعرية، فقال كعب يهجو عبد القيس: من «البسيط» :

(إنِّي وإن كنتُ فرعَ الأزْد قد عَلمو أَخْزَى إذا قيل عبُد القيس أَخْوالي
فَهْمٌ أبو مالكٍ بالمجدِ شرَّفني ودنَّس العبدُ عبدُ القيسِ سِرْبَالِي)

(الاصفهاني،١٩٩٤ :١٤\٤٤٤) هذا الأسلوب من الهجاء الذي هجا فيه الشاعر كعب الأشقرى زياد الأعجم حول الصراع من الحالة الشخصية الفردية إلى حالة أوسع تشمل هجاء القبيلة الكاملة، أننا مع هذه المعاني ندخل فصل جديد من الهجاء أخذ عمقًا أكثر من الجانب السياسي وأقترب من هوية زمانه وسماته الفنية، وبات يحمل صفات شعر النقائض.

إن شعر النقائض في العصر الأموي ليس شعرا يحمل غرض الهجا فقط كما كان؛ وإنما هو هجاء وفخرٌ في نفس الوقت، يحمل معاني عميقة واتصال مع الحياة السياسية المعاصرة، من تزاحم القبائل العربية على السيادة، فالقبيلة تفكر في كيفية تقوية نفسها وتتحالف مع القبائل أخرى، وتركز على الجانب الإعلامي من خلال الشعر والشعراء؛ لتعظيم العلاقة مع السلطة الحاكمة لتقوية نفوذها. (ينظر: ضيف، ١٩٨٧:ص١٦٦-١٦٧) .

إن الابداع عند الشخص يجعله يعيش حالة من الثنائية أو تركيبة تسود فيها النزعات المتعارضة، فهو من جهة إنسان له حياته الخاصة بما فيها من طموحات وتطلعات، وفضلا عن ذلك في الوقت ذاته يعيش ضمن جماعة لهم أهوائهم الخاصة ويجب عليه امتلاك روحا جمعية ليكون إنساناً جمعياً، وعندها يعيش حياة غير مرضية، فيها نقص من جانبها البشري والشخصي، فلا استثناء من قاعدة على إنسان أن يدفع ثمنًا غاليا مما تهبه السماء من أبداع. (ينظر: اسماعيل: ص٣٦-٣٧). وهذا ما يعني أن شعراء النقائض عامة وشعراء خراسان خاصة ما كان يدور بينهم من شعر تهاجي لا يمثل رغبات شخصية فردية للشاعر؛ وإنما هو وسائل لتحقيق رغبات الجماعة الذين يحيطون بعضهم، فهم صوت وأذواق وأحوال الجماعة.

وبعد أن سمع الشاعر زياد الأعجم هجاء كعب اللاذع لقبيلته وجه أبياته الشعرية في ردا واضح وشديد، نقله صاحب كتاب الأغاني: (فغضب وقال يا عجبا للعبد ابن العبد ابن الحيتان والسرطان يقول هذا في عبد القيس وهو يعلم موضعي فيهم والله لأدعنه وقومه غرضا لكل لسان ثم قال يهجوه: من «البسيط»

نُبِّئت أشقرَ تَهْجُونا فقلتُ لهمْ ما كنتُ أحسبهمْ كانوا ولا خلقو
لا يَكْثُرونَ وإن طالت حياتُهُم ولو يبول عليهمْ ثعلبٌ غَرِقُو
قومٌ من الحَسَبِ الأدنى بمنزلةٍ كالفَقْعِ بالقاع لا أصْلٌ ولا وَرَقُ
إنَّ الأشاقرَ قد أَضْحَوْا بمنزلة لو يُرْهَنُون بنَعْلَيْ عبدِنا غَلِقوا)

(الاصفهاني، ١٩٩٤ : ٤٤٤\١٤). نجد في الأبيات الشعرية الاجابة على قدر الأسلوب، في رد متقابل واختيار مشابه للمعاني المنتقاة في الخطاب الهجائي (الغلق في الرهان ضد الفك، يقال غَلِقَ الرهان غلوقاً أذا لم يوجد له تخلص وبقي في يد المُرتَهِن لا يقد راهنه علة تخليصه.) (الاعجم، ١٩٨٣ : ص٨٥)

إن المفردات ومعانيها عند الشاعرين تسير بتركيز واضح نحو محاولة سلخ الفرد من الجماعة، فكل شاعر يهاجم نقيضه، بأسلوب يجعله معدوم الأثر والقيمة داخل قبيلته، فيصبح هذا المهجو ذو عدمية داخل الجماعة، ومن خلال ذلك يفقد صفة التميز، ويكون كلامه غير مسموع وغير مؤثر في الخصم.

وهجا أيضاً الشاعر زياد الأعجم الشاعر كعب الأشقري كما جاء بقوله: «من المنسرح»

(هل تسمَع الأَزْدَ ما يقال لها في ساحة الدَّار أم بها صَمَمُ
اِختَتَنَ القومُ بعد ما هَرِمُو واستعرَبُوا ضَلَّةً وهمْ عَجَمُ)

(الاعجم، ١٩٨٣: ص٩٦-٩٧) . هاجم الشاعر في هذين البيتين قبيلتي كعب الأشقرى والأزد، وذهب يحذرهم من البقاء وراء إدعاء شاعرهم كعب. ذلك لإن الشعوب العربية على مختلف مراحل تطورها السياسية والاجتماعية، كانت تخضع لعادات وأفكار وأعراف الجماعة، فلا يمكن للفرد الشاعر أن يفكر لوحده بعيداً عن الجماعية التي يمثلها « نحن « القبيلة أمام انحسار دور « أنا « الفرد المستقل في الفكر والرأي، فالشاعر في أبياته يخاطب المقابل بصيغة الجمع « هل تسمَع الأَزْد - هَرِمُوا – وهمْ « نماذج من صيغ مخاطبة الجماعة، على الرغم من الخلاف القائم بين فردين. مما يشير إلي ذوبان وتسامي الأنا الفردية في نحن الجماعة، ولأهمية وشمولية هذا التهاجي بين الشاعرين بدأ يطال علاقة كل منهما بالسلطة

العليا للدولة. وجاء رد كعب الأشقري بقوله : «من الطويل»

(لعــلَّ عُبيــدَ القيسِ تَحسَب أنَّها كتغلبَ فـي يـوم الحفيـظةِ أو بَكـرِ
يُضعْضِعُ عبدَ القيسِ في النَّاس مَنصِب دنـيءٌ وأحسـابٌ جُـبِـرْنَ على كَسْرِ
إذا شاع أمـرُ الناس وانشقَّت العصا فإنَّ لُـكَـيْـزاً لا تَـرِيـشُ ولا تَـبْـرى)

(الاشقري، ٢٠١٠: ص٦٩). يرد الشاعر كعب الأشقري على أبيات خصمه زياد الأعجم بالأسلوب ذاته. فهو يقلل من شأن قبيلة الشاعر الخصم في القتال، فلا دولا لهم غير القيان ببعض الأعمال اللوجستية، فـ(«يوم الحفيظةِ: الذب عن المحارم في الحرب، وانشقَّت العصا: كناية عن العصيان أو الحرب، لُكَيْزاً: بطن من بطون عبد القيس، تريش: تضع على السهم الريش، تَبْرى: تنحت السهم قبل أن تضع علية الريش أو النصل أي لا حول ولا قوة لهم) (الاشقري، ٢٠١٠ ، ص٦٩). فالشاعر يعزف على وترٍ حساس عند العرب، فالقبائل العربية تصنع التاريخ في مواقفها التي تجسدها بطولات أبنائها في المعارك والغزوات، وكذلك في مساندتها للسلطة الحاكمة في هذه الرقعة الجغرافية، من الدولة الإسلامية التي كانت تشهد الكثير من التمرد والانشقاق عن السلطة المركزية. فالعرب في خراسان عاشوا حياة من المنازعات والخلافات القبلية فيما بينهم من جهة والقتال المستمر مع الترك من جهة أخرى، لم تسكت عندهم قرقعت السيوف، من حروب أساسها العصبيات الجَذَعةً. (ينظر: ضيف،العصر الاسلامي، ص١٦٢.) ولأن هذه المناقضات كما أشرنا، تضمحل عندها الأنا الفردية بما فيها من أهواء ورغبات أمام نحن القبيلة التي يسعى أفرادها إلى إظهار دورها الريادي في مساندة الدولة وتقوية أركانها، لذا نجد التراكيب اللغوية للأبيات الشعرية تخاطب لغة الجماعة كما كانت اللغة الشعرية عند زياد الأعجم.

فالجماعة هي الأساس والحاضن المباشر للتفاعل الاجتماعي، ومن خلالها تتشكل معايير السلوك، ولها أسس تنفيذية مشتركة لا يسمح للفرد الخروج عنها، وكل ذلك في التالي يجعل الفرد يعيش حالة من الاضطراب النفسي والخوف من فقدان مكانته داخل الجماعة، مما يجعله يتشبث بكل الوسائل للحفاظ على هذه المكانة، وعندها يخلق ما يسمى التعصب أو العصبية، وبعده يلجأ الفرد للدفاع عن هذا السلوك بإيذاء الآخرين جسديًا أو لفظياً. (ينظر: ميمون و عبد الرحمن، ٢٠٢٠، ص١٨٤-١٨٥).

إن الرغبة الجامحة للنيل من المحيط الاجتماعي قد تدفع الفرد إلى المبالغة في مدح الذات والسمو والتعالي على المحيطين فيه وهذه جميعها تعد من العلامات البارزة عند

الأشخاص الذين يعانون من حالة الشعور بالنقص والدونية.

فالشخص الذي يعاني من الشعور بالدونية قد يكون ذو أسلوباً مهذباً ، ومن الصعب تميزه لما يسلكه من طريق ماكر في تحقيق غايته، ومن خلالها يشعر الفرد بالتعالي والارتفاع على الآخرين في إظهار قصور ومساوئ كل من يحيط به أو يخاصمه، وهذه الحالة ليست مريحة للشخص وإنما متعبة للفرد والمجتمع، لأنها تجعل صاحبها على اتصال دائم بالحيز السيء والمظلم من الحياة، و في حالة بعد دائم عن كل ما هو إيجابي ومفيد في هذه الحياة، فيترتب على ذلك كله تفاقم الحالة النفسية للشخص. (ينظر: أدلر، ٢٠٠٥ : ص٨٦).

وهذا الخلاف بين الشاعرين والذي انسحب إلى القبيلتين، كانت له نهاية عندما تدخلت السلطة الحاكمة من آل المهلب (ينظر: الأصفهاني، ١٩٩٤ :١٤\٤٤٥) .

إن حديث الأمير المهلب بن صفرة الذي يمثل السلطة في خراسان مع الشاعرين كعب الأشقرى وزياد الأعجم؛ دليل على شيوع ثقافة العقل الامتثالي، وسيطرة السلطة الحاكمة على توجهات الشعراء وموضوعاتهم.

فالقصيدة الأموية باتت تحت سطوة المال والسلطة، اللذان هيمنا على أغلب الجوانب فيها، ومن أسس البناء الفني فيها .(ينظر: ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ١٩٨٧: ص١٢٣.) فلم تتمكن الناس من تحمل هذا المدّ الجارف، وتعبت من الصراعات الداخلية والخارجية، مما انعكس على الملامح والانفعالات النفسية عندهم، حيث وجدنا حالات الشعور بالنقد والدونية أمام السلطة والتعالي وحب الأنا والرغبة بالتميز من المحيط الاجتماعي، فكان أدبهم مرآة حقيقية لهذه العقد النفسية والاجتماعية.

الخاتمة

إننا مع عرضنا للتراشق الشعري بين شعراء خراسان لم نحيط بكل أطراف هذا الغرض الشعري، واكتفينا بعرضنا المشهور من الأبيات الشعرية التي تناولتها كتب التراث العربي القديمة، فالصراع على السلطة بأشكالها قائم بين اتجاهين الأول؛ سلطة الأنا، والثاني السلطة الأخرى ، اللذان يعلنان عن حضورهما من خلال تبادل الهجاء في إعلان واضح لكل منهما عن رفضه وامتعاضه من الواقع الاجتماعي والسياسي، المتمثل بطريقة حياة السلطة الحاكمة وعلاقتها بالرعية ودوافعها وأسباب منحها العطايا وإكرام المقربين منها، مقابل الحياة البسيطة لعامة الناس من الرعية، وما ينتج عن ذلك من فقدان الاهمية الكبيرة للمعايير الثابتة والحقيقية في تقيم الخير للرعية بمختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والأدبية.

إن حالة الشعور بالدونية، وما يقابها من ممارسة الاستعلاء على الرعية، هي نتاج تفاقم حالة الشعور بالدونية أمام إملاءات السلطة، والتي تصل إلى ما يسمى بعقدة التميز، أو الرغبة في التفوق على المحيط، وهذه الحالة لدى الافراد الذين يسعون لسد حاجاتهم المتعددة من مصدر خارجي.

١. المصادر

٢. اسماعيل،عز الدين. (بلا تاريخ). التفسير النفسي للأدب (ط٤). القاهرة: دار غريب للطباعة.

٣. الأشقري،كعب بن معدن. (٢٠١٠). شعر كعب بن معدن الأشقري (ط١). (تح: أحمد محمد عبيد) أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة: هيئة أبو ظبي للثقافة.

٤. الأصفهاني، أبو فرج. (١٩٩٤م) الاغاني، (ط١). تح: دار احياء ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي.

٥. الأعجم، زياد. (١٩٨٣). شعر زياد الاعجم،(ط١)، (تحق: يوسف حسين بكار) عمان، الأردن: دار المسيرة.

٦. ألفريد أدلر. (٢٠٠٥). الطبيعة البشرية (ط١)، (عادل نجيب، المترجمون، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة.

٧. الآمدي، أبو القاسم.(١٩٩١). المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ط١).(تح: ف. كرنكو:، المحرر) بيروت: دار الجيل.

٨. جيل دلوز. (١٩٨٧). المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو (ط١). (ت: سالم يفوت) الدار البيضاء،: المركز الثقافي العربي.

٩. الحسني، يوسف. (٢٠٢١). عقدك النفسية سجنك الأبدي (ط١). القاهرة، مصر: عصير الكتب.

١٠. الدينوري، ابن قتيبة . (١٩٨٧). الشعر والشعراء (ط٣). بيروت: دار إحياء العلوم.

١١. زيودين ساردار، و بورين فان لون. (٢٠٠٣). الدراسات الثقافية (ط١). (ت: وفاء عبد القادر) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

١٢. السامرائي، ماجد أحمد. (١٩٦٨). شعر ثابت قطنة العتكي. بغداد: وزارة الثقافة والاعلام.

١٣. سويف، مصطفى. (١٩٦٩). االأسس النفسية لإابدا ع الفني الشعر خاصة. (ط٤). القاهرة: دار المعارف.

١٤. ضيف، شوقي. (١٩٨٧). التطور والتجديد في الشعر الاموي (ط٨). القاهرة، مصر: دار المعارف.

i. (بلا تاريخ). تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي (ط٢٠). القاهرة، مصر: دار المعارف .

١٥. عبد المجيد، زكريا. (١٩٩٢). الأدب الأموي تاريخه وقضاياه (ط١). القاهرة: مطبعة الحسين.

١٦. العتكي، ثابت قطنة. (١٩٧٠). شعر ثابت قطنة العتكي. (تح: ماجد أحمد السامرائي،) بغداد: المؤسسة العامة للصحافة .

١٧. عطوان،حسين. (١٩٨٩م). الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي (ط٢). بيروت: دار الجيل.

١٨. الغذامي، عبد الله . (٢٠٠٥). النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية (ط٣). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

١٩. القيسي، نوري حمودي. (١٩٨٦). حاجب الفيل حياته وما تبقى من شعره. المورد.

٢٠. مراد، حلمي. (بلا تاريخ). مركب النقص والعقدة النفسية. القاهرة، مصر: المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر.

٢١. المرازيق، أحمد جمال. (٢٠٠٩). جماليات النقد الثقافي (ط١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٢. المرزباني. (١٩٨٢). معجم الشعراء (ط٢). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

المجلات الدورية

١. عبد السادة، هناء ، و م.م علي المعموري. (حزيران, ٢٠٢٣). الجدل النسقي في خطاب الرحال الهجائي. مجلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٤\ العدد الثاني.

٢. ميمون، يوسف، وفرحات عبد الرحمن. (٢٧ ديسمبر, ٢٠٢٠). البواعث العصبية في الشعر الأموي دراسة سوسيو نفسية في النقائض. مجلة سوسيو لوجيا، الصفحات ١٧٦-١٩٨.

Index of Sources and References

1. . Ismail, Izz al-Din. (n.d.). Al-Tafsir al-Nafsi lil-Adab. Cairo: Dar Gharib for Printing.

2. . Al-Ashqari, Ka'b bin Ma'dan. (2010). Shi'r Ka'b bin Ma'dan al-Ashqari (1 th ed.). (Ed.: Ahmed Mohammed Obeid). Abu Dhabi, UAE: Abu Dhabi Authority for Culture.

3. . Al-Isfahani, Abu al-Faraj. (1415 AH). Al-Aghani. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

4. . Al-Isfahani, Abu al-Faraj. (1994). Kitab al-Aghani. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

5. . Al-A'jam, Ziyad. (1983). Shi'r Ziyad al-A'jam (1st ed.). (Ed.: Yusuf Hussein Bkar). Amman, Jordan: Dar al-Maseera.

6. . Alfred Adler. (2005). Human Nature (1 th ed.). (Trans.: Adel Nageeb). Cairo: Supreme Council of Culture.

7. . Al-Amidi, Abu al-Qasim. (1991). Al-Mu'talif wa al-Mukhtalif fi Asma' al-Shu'ara (1 th ed.). (Ed.: F. Krenkow). Beirut: Dar al-Jeel.

8. . Gilles Deleuze. (1987). Knowledge and Power: An Introduction to Reading Foucault (1 th ed.). (Trans.: Salem Yafout). Casablanca: Arab Cultural Center.

9. . Al-Hassani, Yusuf. (2021). Your Psychological Complexes: Your Eternal Prison (1 th ed.). Cairo, Egypt: Asir al-Kutub.

10. . Al-Dinwari, Ibn Qutaybah. (1987). Al-Shi'r wa al-Shu'ara. Beirut: Dar Ihya al-Ulum.

11. . Ziauddin Sardar & Borin Van Loon. (2003). Cultural Studies (1 th ed.). (Trans.: Wafa Abdel Qader). Cairo: Supreme Council of Culture.

12. . Al-Samarrai, Majid Ahmed. (1968). Shi'r Thabit Qutnah al-Ataki. Baghdad: Ministry of Culture and Information.

13. . Suwayf, Mustafa. (1969). Psychological Foundations of Artistic Creativity:

Poetry in Particular (Vol. 4). Cairo: Dar al-Ma'arif.

14. . Darwish, Shawqi. (1987). Evolution and Innovation in Umayyad Poetry (8th ed.). Cairo, Egypt: Dar al-Ma'arif.

15. . _____. (n.d.). History of Arabic Literature: The Islamic Era (20th ed.). Cairo, Egypt: Dar al-Ma'arif.

16. . Abdel Majid, Zakaria. (1992). Umayyad Literature: Its History and Issues. Cairo: Al-Hussein Printing Press.

17. . Al-Ataki, Thabit Qutnah. (1970). Shi'r Thabit Qutnah al-Ataki. (Ed.: Majid Ahmed al-Samarrai). Baghdad: General Institution for Press.

18. . Atwan, Hussein. (1989). Poetry in Khorasan from the Conquest to the End of the Umayyad Era (2nd ed.). Beirut: Dar al-Jeel.

19. . Al-Ghadami, Abdullah. (2005). Cultural Criticism: A Reading of Cultural Patterns (3 th ed.). Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center.

20. . Al-Qaysi, Nuri Hammoudi. (1986). Hajib al-Feil: His Life and Remaining Poetry. Al-Mawrid Journal.

21. . Murad, Helmi. (n.d.). The Inferiority Complex and Psychological Complexes. Cairo, Egypt: Modern Arab Institution for Printing and Publishing.

22. . Al-Marzouqi, Ahmed Jamal. (2009). Aesthetics of Cultural Criticism (1 th ed.). Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.

23. . Al-Marzubani. (1982). Dictionary of Poets (2 th ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Periodicals:

1. . Abdel Sada, Hana & Ali Al-Ma'mouri. (June 2023). Systemic Controversy in the Discourse of the Satirical Traveler. Journal of Humanities, Volume 14, Issue 2.

2. . Maymun, Yusuf & Farhat Abdel Rahman. (December 27, 2020). Neurotic Motivations in Umayyad Poetry: A Socio-Psychological Study of Naqa'id. Sociology Journal, pp. 176–198.